

خطبة استسقاء ٢٠ / ٧ / ١٤٤٥

أَمَّا بَعْدُ ، فَأُوصِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ "
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا
يَحْتَسِبُ "

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، تَأَخَّرَ الْغَيْثُ فِي بِلَادِنَا عَنْ إِبَانِهِ ،
وَلَمْ يَأْتِنَا مِنْهُ نَصِيبُنَا فِي وَقْتِهِ وَأَوَانِهِ ، وَطَالَ انْتِظَارُنَا
وَاشْتَاقَت قُلُوبُنَا ، وَاشْرَأَبَتِ الْأَعْنَاقُ وَتَقَلَّبَتِ
الْأَبْصَارُ فِي الْآفَاقِ ، وَهَجَّتِ الْأَلْسِنَةُ بِالْدُّعَاءِ ،
وَجَّتِ الْحَنَاجِرُ بِالِاسْتِسْقَاءِ ، وَهَذَا نَحْنُ الْيَوْمَ قَدْ

خَرَجْنَا لِنُعْلِنَ ضَعْفَنَا ، وَبَرَزْنَا لِنُظْهِرَ حَاجَتَنَا وَفَقْرَنَا
، وَاجْتَمَعْنَا لِنَسْتَنْزِلَ رَحْمَةَ رَبِّنَا ، وَنَحْسَبُ أَنَّهُ تَعَالَى
سَيُجِيبُنَا وَلَنْ يُخَيِّبَنَا ، وَنَظْنُ فِيهِ عَزٌّ وَجَلٌّ أَنَّهُ سَيَقْبَلُنَا
وَلَنْ يَرُدَّنَا ، وَلَكِنْ ، هَلْ خُرُوجُنَا هَذَا كَافٍ لِيَتَغَيَّرَ
مَا نَحْنُ فِيهِ !؟

إِنَّ الاسْتِسْقَاءَ الْمَجْرَدَ قَدْ لَا يَكْفِي ، إِنْ لَمْ تَتَغَيَّرِ
الْحَالُ وَتَتَبَدَّلَ ، فَتَعُودَ طَاعَاتُ قَدْ فُقِدَتْ ،
وَتُسْتَمِرَّ أَعْمَالُ بَرٍّ قَدْ تَوَقَّفَتْ ، وَتَتَوَقَّفَ مَعَاصٍ قَدْ
ارْتُكِبَتْ ، وَتُجْتَنَبَ كِبَائِرُ قَدْ اقْتُحِمَتْ ، وَيُتَابَ مِنْ
ذُنُوبٍ وَسَيِّئَاتٍ ، وَيُرْجَعُ عَنْ جَرَائِمٍ وَمُوبِقَاتٍ ،

وَتُنكَرُ مُنْكَرَاتٌ وَيُتَنَاهَى عَنْهَا ، وَتُبَدَّلُ النَّصِيحَةُ
وَتُقْبَلُ مِنْ بَادِيهَا ، أَجَلُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، فِي عِبَادَاتِنَا
وَفِي مُعَامَلَاتِنَا ، وَفِي أَخْلَاقِنَا وَفِي سَائِرِ أُمُورِ حَيَاتِنَا ،
جَعَلْنَا نَلْحَظُ شَيْئًا مِنَ التَّغْيِيرِ ، وَنَرَى تَرَاجُعًا بَعْدَ
التَّقَدُّمِ ، تَرَكَ لِلصَّلَوَاتِ ، وَهَجَرَ لِلجَمَاعَاتِ ،

وَعِشٌّ فِي الْمُعَامَلَاتِ ، وَكَذِبٌ وَزُورٌ وَاحْتِيَالٌ ،
وَعُقُوقٌ وَقَطِيعَةٌ أَرْحَامٍ ، وَتَهَاجُرٌ وَتَصَارُمٌ وَتَدَابُرٌ ،
وَنَقْضٌ لِلْعُهُودِ وَتَضْيِيعٌ لِلْأَمَانَاتِ ، وَتَهَاوُنٌ بِتَرْبِيَةِ
الْأَهْلِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْبَنَاتِ ، وَتَعَلُّقٌ بِالدُّنْيَا وَالْمَادِّيَّاتِ ،
وَإِغْرَاقٌ فِي الْمَتْعِ وَالشَّهَوَاتِ ، وَغَفْلَةٌ عَنِ الْمَصِيرِ

وَنَسِيَانٌ لِلْمَوْتِ ، أَخْذٌ لِلْمَالِ وَالْمَكَاسِبِ دُونَ تَحَرُّرٍ
لِلْحَلَالِ ، وَمَنْعٌ لِلزَّكَاةِ وَشُحٌّ وَبُخْلٌ ، جَفَّتِ الْأَعْيُنُ
وَأَقْفَرَتِ الْقُلُوبُ ، وَأُصِرَّ عَلَى الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ ،
وَجُوهَرٌ بِالْمُخَالَفَاتِ وَالْعُيُوبِ ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ عَالِمِ الْغُيُوبِ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ؛ إِنَّ تَأَخُّرَ الْغَيْثِ مِنْبَهُ لَنَا لِلرُّجُوعِ
إِلَى اللَّهِ ، وَعَلَامَةٌ عَلَى حَاجَةِ الْقُلُوبِ إِلَى أَنْ تُغَاثَ
بِالْإِيمَانِ ، قَبْلَ أَنْ نَطْلُبَ اللَّهَ أَنْ يُغِيثَ الْأَوْطَانَ ،
قَالَ سُبْحَانَهُ : " وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا
لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ

كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " وَالْإِيمَانُ لَيْسَ
مُجَرَّدَ تَصَدِيقٍ وَقِنَاعَةٍ ؛ وَلَا هُوَ بِالْتَّمَنِّيِّ وَلَا بِالتَّحَلِّيِّ
، بَلْ لَا بُدَّ فِيهِ مَعَ الْيَقِينِ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ
وَالْعِقَابِ ، أَنْ تُصَدِّقَهُ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ وَالْإِسْتِقَامَةُ
الدَّائِمَةُ ، وَالثَّبَاتُ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ دُونَ

خُرُوجِ عَنْهُ بِتَعَمُّدٍ وَإِصْرَارٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَ
مَعَ الْإِسْتِقَامَةِ بِالسُّقْيَا ، فَقَالَ وَهُوَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ
: " وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً
غَدَقًا " وَلَآئِنَّا خَطَّاءُونَ مُذْنِبُونَ ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَوْبَةٍ
وَاسْتِغْفَارٍ ، وَبِذَلِكَ يَنْزِلُ الْغَيْثُ الْمِدْرَارُ ، قَالَ

سُبْحَانَهُ : " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا
يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا " وَقَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ
هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : " يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا
إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا " وَقَالَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : " كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ

الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ " وَاجِبٌ عَلَيْنَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ
مُعَالَجَةُ مَا فِيْنَا مِنْ أَمْرَاضِ الْمَعَاصِي بِدَوَاءِ النَّدَمِ
وَالْتَّوْبَةِ ، وَاجِبٌ عَلَيْنَا تَفَادِي هَذَا النَّقْصِ
بِالِاسْتِغْفَارِ وَالْأُوبَةِ ، وَاجِبٌ عَلَيْنَا مُحَاسَبَةُ أَنْفُسِنَا بِمِثْمِ
الْإِنَابَةِ إِلَى رَبِّنَا ، وَاجِبٌ عَلَيْنَا شُكْرُ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ

نِعْمَ لِيَحْفَظَهَا اللَّهُ عَلَيْنَا وَيَزِيدَنَا مِنْهَا ، فَقَدْ قَالَ
سُبْحَانَهُ : " أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ . أَأَنْتُمْ
أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُنِّ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ . لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ
أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ " وَقَالَ سُبْحَانَهُ : " لَئِنْ
شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ "

إِنَّ خَزَائِنَ اللَّهِ مَلَأَى ، وَنُزُولَ الْغَيْثِ بِأَمْرِهِ قَرِيبٌ ،
وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ : " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي
عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلَيْسَتْ جِيبُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ " وَيَقُولُ
سُبْحَانَهُ : " أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ

السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا
تَذَكَّرُونَ " وَيَقُولُ تَعَالَى : " وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي
أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ " وَيَقُولُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ
الْقُدْسِيِّ : " يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ

وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي
فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ
عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا دَخَلَ الْبَحْرَ " رَوَاهُ
مُسْلِمٌ . لَكِنَّ الدُّنُوبَ وَتَغْيِيرَ الْقُلُوبِ وَالْإِصْرَارَ عَلَى
الدُّنُوبِ ، كُلُّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي حَالَ بَيْنَ الْأَرْضِ

وَأَهْلِهَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرِّزْقِ " وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ
مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ " أَلَا
فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَاشْكُرُوهُ ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ
، وَاعْتَرَفُوا بِنِعْمِهِ وَلَا تَكْفُرُوهُ ، فَإِنَّ النِّعَمَ إِذَا شُكِرَتْ
قَرَّتْ وَزَادَتْ ، وَإِذَا كُفِرَتْ فَرَّتْ وَزَالَتْ ، فَاللَّهُ اللَّهُ

وَمِنْ هَذَا الْمَكَانِ ، لِنَنْطَلِقَ وَنَتَبَصَّرَ فِيمَا نَحْنُ عَلَيْهِ
مِنْ حَالٍ ، فَكُلُّنَا مِمَّا أَدْرَى بِنَفْسِهِ وَأَعْلَمُ بِحَالِهِ ، وَلَا
يَخْفَى عَلَيْهِ مَا هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ مِنْ خَطَأٍ وَمَا هُوَ وَاقِعٌ
فِيهِ مِنْ تَقْصِيرٍ " بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ
أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ " نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومَ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ . نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومَ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ .
نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومَ
وَنَتُوبُ إِلَيْهِ . اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، الْغَنِيُّ
وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ

لَنَا قُوَّةٌ وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ . اللَّهُمَّ اسْقِنَا ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا
، اللَّهُمَّ اسْقِنَا . اللَّهُمَّ أَغْنِنَا ، اللَّهُمَّ أَغْنِنَا ، اللَّهُمَّ
أَغْنِنَا . اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا هَنِيئًا مَرِيئًا مَرِيئًا ،
غَدَقًا مُجَلَّلًا عَامًّا ، طَبَقًا سَحًّا دَائِمًا ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا
الغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ ، اللَّهُمَّ إِنَّ بِالْعِبَادِ

وَالْبِلَادِ وَالْبَهَائِمِ وَالْخَلْقِ مِنَ اللَّأْوَاءِ وَالْجَهْدِ وَالضَّنْكِ
مَا لَا نَشْكُوهُ إِلَّا إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ أَنْبِتْ لَنَا الزَّرْعَ ،
وَأَدِرِّ لَنَا الضَّرْعَ ، وَاسْقِنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ ،
وَأَنْبِتْ لَنَا مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ ، اللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنَّا الْجَهْدَ
وَالْجُوعَ وَالْعُرْيَ ، وَاكْشِفْ عَنَّا مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا

يَكْشِفُهُ غَيْرُكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ إِنَّكَ كُنْتَ غَفَّارًا
، فَأَرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَارًا . اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ
وَبَهَائِمَكَ ، وَاَنْشُرْ رَحْمَتَكَ وَأَحْيِ بَلَدَكَ الْمَيِّتَ . اللَّهُمَّ
سُقِيَا رَحْمَةً ، لَا عَذَابٍ وَلَا بَلَاءٍ وَلَا هَدْمٍ وَلَا غَرَقٍ .

وَصَلِّ اللّٰهُمَّ وَسَلِّمْ عَلٰى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

عِبَادَ اللّٰهِ : حَوَّلُوا أَلْبِسَتَكُمْ تَفَاؤُلًا بِأَنْ يُغَيِّرَ اللّٰهُ تَعَالٰى
حَالَنَا فَيُغَيِّرَنَا غَيْرًا مُّبَارَكًا ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَادْعُوهُ مُسْتَقْبِلِينَ الْقِبْلَةَ
وَأَيُّقِنُوا بِالْإِجَابَةِ ، وَأَكْثِرُوا الصَّدَقَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ .